صوت الدعاة
WWW.DOAAH.COM
رئيس التحرير
د/ أحمد رمضان
مدير الجريدة
أ/ محمد القطاوى

خطبة الجمعة القادمة
وزارة الأوقاف المصرية

خُطْبَةٌ بِعُنْوَانِ: دَوْرُ الاتِّحَادِ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعَاتٍ قَوِيَّةٍ مُتَمَاسِكَةٍ

(الاِتِّحَادُ قُوَّةٌ)

بتاريخ 23 محرم 1447هـ 18 يوليو 2025م

الاتحادُ هو الأساسُ في بناءِ مجتمعاتٍ قويةٍ، ومتماسكةٍ، وأوطانٍ مزدهرةٍ، ومستقرةٍ، فوحدةُ هذه الأمةِ هي سبيلُ وحدتِها، وعزِّها، وتقدمِها، فالأممُ لا تُقاسُ بثرواتِها، ولا بعددِها، بل بتماسكِها، وترابطِها، وقدرتِها على تجاوزِ الخلافاتِ؛ لتكونَ صفًّا واحدًا في وجهِ التحدياتِ.

العناصر:

- تَعْرِيفُ الاِتِّحَادِ
- دَوْرُ الاِتِّحَادِ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعَاتٍ قَوِيَّةٍ
- أَهَمِّيَّةُ الاِتِّحَادِ كَقِيمَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ
- كَيْفِيَّةُ تَعْزِيزِ ثَقَافَةِ الاِتِّحَادِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا؟
- آثَارُ غِيَابِ الاِتِّحَادِ
- الْخُلَاصَةُ

تَعْرِيفُ الاِتِّحَادِ

يُمْكِنُنَا تَعْرِيفُ الاِتِّحَادِ بِأَنَّهُ: الِالْتِئَامُ، وَالتَّآزُرُ بَيْنَ أَفْرَادٍ أَوْ جَمَاعَاتٍ أَوْ دُوَلٍ؛ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُشْتَرَكٍ، وَهٰذَا الْمَفْهُومُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْكِيَانَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْكُبْرَى فَحَسْبُ، بَلْ يَمْتَدُّ:

لِيَشْمَلَ الرَّوَابِطَ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَمَجْمُوعَاتِ الْعَمَلِ، وُصُولًا إِلَى التَّرَابُطِ الْمُجْتَمَعِيِّ الشَّامِلِ.

فَالِاتِّحَادُ مِنَ الْمَبَادِئِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا رَبُّنَا – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، وَأَوْصَى بِهَا رَسُولُنَا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَالْحَقُّ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يَقُولُ فِي كِتَابِهِ :﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾]آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣.[

وَيَقُولُ صَاحِبُ الْجَنَابِ النَّبَوِيِّ الْمُعَظَّمِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» :- إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا] «رَوَاهُ مُسْلِمٌ.[

دَوْرُ الِاتِّحَادِ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ

يَلْعَبُ الِاتِّحَادُ دَوْرًا حَيَوِيًّا فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْقَوِيَّةِ، وَالْمُتَمَاسِكَةِ، عَبْرَ عِدَّةِ مَحَاوِرَ رَئِيسِيَّةٍ، نَذْكُرُهَا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

تَعْزِيزُ الشُّعُورِ بِالِانْتِمَاءِ، وَالْهُوِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ :فَعِنْدَمَا يَتَّحِدُ الْأَفْرَادُ حَوْلَ رُؤْيَةٍ أَوْ هَدَفٍ مُشْتَرَكٍ، يَتَوَلَّدُ لَدَيْهِمْ شُعُورٌ قَوِيٌّ بِالِانْتِمَاءِ، وَهَذَا الِانْتِمَاءُ يُعَزِّزُ قِيمَةَ الْمُجْتَمَعِ، وَيَجْعَلُ كُلَّ فَرْدٍ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ كِيَانٍ أَكْبَرَ، لَهُ مَصْلَحَةٌ فِي نَجَاحِهِ، وَتَقَدُّمِهِ، وَهَذَا الشُّعُورُ بِالْوَحْدَةِ يُقَلِّلُ مِنَ النِّزَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَيُغَذِّي رُوحَ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْبَشَرِ.

تَفْعِيلُ مَبْدَإِ التَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ :فَالِاتِّحَادُ لَا يَعْنِي فَقَطِ الْقُوَّةَ الْمَادِّيَّةَ، بَلْ هُوَ أَيْضًا الرَّحْمَةُ، وَالْعَطَاءُ، وَالْمُسَانَدَةُ.

مُجْتَمَعٌ مُتَمَاسِكٌ يَعْنِي: يَدًا تُمَدُّ لِلْمُحْتَاجِ، وَظَهْرًا يَسْنُدُ الضَّعِيفَ، وَقَلْبًا يَحْنُو عَلَى الْجَارِ، فَلْيَكُنْ كُلٌّ مِنَّا عَوْنًا لِلْآخَرِ، وَلْنَجْعَلْ مِنْ أُمَّتِنَا نَسِيجًا مَتِينًا، تَحْقِيقًا لِقَوْلِ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:-

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾]الْمَائِدَةُ: ٢.[

تَعْزِيزُ الْأَمْنِ، وَالِاسْتِقْرَارِ :حَيْثُ إِنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُتَمَاسِكَةَ أَقَلُّ عُرْضَةً لِلِانْقِسَامَاتِ، وَالصِّرَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَعِنْدَمَا يَتَّحِدُ النَّاسُ، يُصْبِحُونَ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى مُوَاجَهَةِ التَّهْدِيدَاتِ، وَالتَّحَدِّيَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْدَّاخِلِيَّةِ، وَالْحِفَاظِ عَلَى أَمْنِ الْبَلَدِ، وَاسْتِقْرَارِهِ.

دَعْمُ التَّنَوُّعِ، وَقَبُولُ الْآخَرِ :فِي مُجْتَمَعٍ مُتَعَدِّدِ الثَّقَافَاتِ، وَالْأَعْرَاقِ، يَلْعَبُ الِاتِّحَادُ دَوْرًا مَحْوَرِيًّا فِي صَهْرِ هٰذِهِ الِاخْتِلَافَاتِ فِي بُوتَقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ التَّسَامُحِ، وَالِاحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ، فَالِاتِّحَادُ لَا يَعْنِي إِلْغَاءَ الْفُرُوقَاتِ، بَلْ يَعْنِي الِاعْتِرَافَ بِهَا، وَالِاحْتِفَاءَ بِالتَّنَوُّعِ كَقُوَّةٍ إِضَافِيَّةٍ لِلْمُجْتَمَعِ.

فَالنَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ سَوَاسِيَةٌ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» :- أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] «أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ.]

أَهَمِّيَّةُ الِاتِّحَادِ كَقِيمَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ

إِنَّ الِاتِّحَادَ لَيْسَ خِيَارًا ثَانَوِيًّا، وَلَا رَغْبَةً طَارِئَةً، بَلْ هُوَ قِيمَةٌ عُظْمَى، وَضَرُورَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ، وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَالْأُمَمِ. وَتَتَجَلَّى أَهَمِّيَّتُهُ فِي عِدَّةِ مَجَالَاتٍ، نُفَصِّلُهَا فِيمَا يَلِي:

- **تَعْزِيزُ قِيَمِ التَّسَامُحِ، وَالتَّعَايُشِ:**

فَالِاتِّحَادُ يُسَاهِمُ فِي نَشْرِ رُوحِ الْمَحَبَّةِ، وَتَقَبُّلِ الْآخَرِ، وَاحْتِرَامِ الِاخْتِلَافِ، فَعِنْدَمَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ بِاخْتِلَافِ أَعْرَاقِهِمْ، وَأَدْيَانِهِمْ، وَثَقَافَاتِهِمْ عَلَى الْمَصَالِحِ الْمُشْتَرَكَةِ، تَذُوبُ نَزَعَاتُ الْكَرَاهِيَةِ، وَتُبْنَى جُسُورُ الثِّقَةِ، وَالْمُوَاطَنَةِ، وَالتَّسَامُحِ.

- **تَحْقِيقُ الْعَدَالَةِ، وَالْمُسَاوَاةِ:**

إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ، وَتَضَامَنُوا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، ضَمِنُوا تَوْزِيعَ الْمَوَارِدِ، وَالْفُرَصِ، وَالْمَكَاسِبِ بَيْنَهُمْ بِعَدْلٍ، وَتَجَنَّبُوا أَشْكَالَ الْفَوْضَى، وَالِاسْتِبْدَادِ، وَالِاحْتِكَارِ. وَفِي ذٰلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلْوِئَامِ الْمُجْتَمَعِيِّ، وَحِفَاظٌ عَلَى الْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

- **نَشْرُ الْمَعْرِفَةِ، وَالِابْتِكَارِ:**

فِي ظِلِّ الِاتِّحَادِ، تَتَوَافَرُ بِيئَةٌ خَلَّاقَةٌ لِتَبَادُلِ الْخِبْرَاتِ، وَتَطْوِيرِ الْمَهَارَاتِ، وَتَفْجِيرِ الطَّاقَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ. فَالْمُؤَسَّسَاتُ، وَالْجَامِعَاتُ، وَمَرَاكِزُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ تُنْتِجُ فِي ظِلِّ الْعَمَلِ الْمُشْتَرَكِ مَا لَا تَنْتِجُهُ فِي حَالِ الْعُزْلَةِ، وَالْفُرْقَةِ.

- **حِمَايَةُ الْحُقُوقِ، وَتَعْزِيزُ الْحُرِّيَّاتِ:**

الِاتِّحَادُ هُوَ أَسَاسُ الدِّفَاعِ الْمُشْتَرَكِ عَنِ الْحُقُوقِ الْمَدَنِيَّةِ، وَقِيَمِ الْحُرِّيَّةِ، وَالْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَعِنْدَمَا يَتَفَقُ النَّاسُ عَلَى دَفْعِ الْبَاطِلِ، وَنُصْرَةِ الْحَقِّ، يَضْمَنُونَ عَدَمَ الْمَظْلُمَةِ، وَيَصُونُونَ الْعُدَالَةَ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَيَصْنَعُونَ مَنَاخًا سِيَاسِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا يُنْصِفُ الْجَمِيعَ.

- **تَعْزِيزُ الْهُوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَالرُّؤْيَةِ الْمُشْتَرَكَةِ:**

فَالْأُمَمُ الَّتِي تَتَّحِدُ تَخْلُقُ لِنَفْسِهَا هُوِيَّةً قَوِيَّةً، وَصَوْتًا وَاحِدًا فِي الْعَالَمِ، يُمَكِّنُهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي السَّاحَةِ الدَّوْلِيَّةِ، وَحِمَايَةِ مَصَالِحِهَا الْمَشْرُوعَةِ، وَالدِّفَاعِ عَنْ ثَقَافَتِهَا، وَحِضَارَتِهَا، وَقِيَمِهَا.

كَيْفِيَّةُ تَعْزِيزِ ثَقَافَةِ الِاتِّحَادِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا؟

إِنَّ بِنَاءَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْقَوِيَّةِ، وَالْمُتَمَاسِكَةِ، لَا يَكُونُ بِالشِّعَارَاتِ، وَلَا بِالْخُطَبِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ بِخُطُوَاتٍ عَمَلِيَّةٍ، وَرُؤًى وَاضِحَةٍ، تَتَفَاعَلُ فِيهَا جَمِيعُ مَكَوِّنَاتِ الْمُجْتَمَعِ، مِنْ: أُسْرَةٍ، وَمَدْرَسَةٍ، وَإِعْلَامٍ، وَمُؤَسَّسَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ، وَدَعَوِيَّةٍ، وَمَدَنِيَّةٍ. وَفِيمَا يَلِي أَهَمُّ الْمَسَارَاتِ:

- **دَوْرُ الْأُسْرَةِ فِي غَرْسِ قِيَمِ الْوَحْدَةِ:**

الْأُسْرَةُ هِيَ اللَّبِنَةُ الْأُولَى فِي بِنَاءِ أَيِّ مُجْتَمَعٍ. فَإِذَا نَشَأَ الْفَرْدُ فِي أُسْرَةٍ يُسُودُهَا الْحُبُّ، وَالتَّفَاهُمُ، وَالْحِوَارُ، وَاحْتِرَامُ الْآرَاءِ، وَالْمُسَاعَدَةُ الْمُتَبَادَلَةُ، كَبُرَ عَلَى هَذِهِ الْقِيَمِ، وَصَارَ نَافِعًا فِي مُجْتَمَعِهِ، يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ، وَيَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ.

- **دَوْرُ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي تَنْشِئَةِ الْجِيلِ الْوَاعِي:**

لَا تَكْتَفِي الْمَدَارِسُ، وَالْجَامِعَاتُ، بِتَقْدِيمِ الْمَعْرِفَةِ، بَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَغْرِسَ قِيَمَ الْحِوَارِ، وَالْتَّقَبُّلِ، وَالْتَّعَاوُنِ، وَالْتَّعَايُشِ. وَيَكُونُ ذٰلِكَ مِنْ خِلَالِ: الْمَشَارِيعِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَالْأَنْشِطَةِ الْفِرْقِيَّةِ، وَالْحِصَصِ التَّوْعَوِيَّةِ، الَّتِي تَبْنِي فِكْرًا جَمْعِيًّا، وَتُرَبِّي الْفَرْدَ عَلَى مَعَانِي: "نَحْنُ"، بَدَلًا مِنْ "أَنَا."

- **دَوْرُ الْإِعْلَامِ فِي تَوْجِيهِ الْوَعْيِ الْجَمَاعِيِّ:**

إِنَّ الْإِعْلَامَ بِمُخْتَلَفِ وَسَائِلِهِ، وَمَنْصَّاتِهِ، لَهُ قُدْرَةٌ هَائِلَةٌ عَلَى صِيَاغَةِ الرُّؤْيَةِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَتَأْطِيرِ الْهُوِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ. وَيَكُونُ ذٰلِكَ بِتَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى: قَصَصِ النَّجَاحِ الْجَمَاعِيِّ، وَالْمُبَادَرَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَالنَّمَاذِجِ الْمُلْهِمَةِ، وَالْأَعْمَالِ الْفَنِّيَّةِ الَّتِي تَرْسُمُ صُوَرًا لِلْوِئَامِ، وَالتَّعَاوُنِ، وَنَبْذِ الْفُرْقَةِ، وَالْكَرَاهِيَةِ.

- **دَوْرُ الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَالْخُطَبِ الْمِنْبَرِيَّةِ:**

الْمَسَاجِدُ، وَالْخُطَبُ، وَالْمَوَاعِظُ، مَحَاضِنُ قِيَمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَعَلَى الْخُطَبَاءِ، وَالْوُعَّاظِ، أَنْ يُوَجِّهُوا الْقُلُوبَ، وَالْعُقُولَ إِلَى قِيمَةِ الْوَحْدَةِ، وَخُطُورَةِ الْفُرْقَةِ، وَالْخِلَافِ، وَذٰلِكَ بِالْمَعَارِفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَصَصِ السَّلَفِ، وَالْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْحَدِيثِيَّةِ، وَبِالْخِطَابِ الْوَاعِي، وَاللُّغَةِ الْمُحَبِّبَةِ.

- **تَشْجِيعُ الْمُبَادَرَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ، وَالْأَعْمَالِ التَّطَوُّعِيَّةِ:**

فَفِي الْأَحْيَاءِ، وَالْقُرَى، وَالْمُؤَسَّسَاتِ، وَحَتَّى الْمَدَارِسِ، يُمْكِنُ إِطْلَاقُ مُبَادَرَاتٍ تُشَجِّعُ عَلَى التَّعَاوُنِ، كَحَمَلَاتِ تَنْظِيفٍ، أَوْ خِدْمَةٍ عَامَّةٍ، أَوْ دَعْمِ الْفُقَرَاءِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ. فَهٰذِهِ الْمُبَادَرَاتُ تُنَمِّي الْمَسْؤُولِيَّةَ الْجَمَاعِيَّةَ، وَتَجْمَعُ الْفُرَادَى فِي يَدٍ وَاحِدَةٍ.

- **الْغُرْفَةُ الْمِهْنِيَّةُ، وَالْعَمَلُ النِّقَابِيُّ:**

تَشْجِيعُ الْعَامِلِينَ فِي مِهْنَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الِانْتِمَاءِ إِلَى غُرْفَةٍ، أَوْ نِقَابَةٍ، تَضُمُّهُمْ، وَتُدَافِعُ عَنْ حُقُوقِهِمْ، وَتَطْرَحُ مَشَارِيعَ تَطْوِيرٍ، يُقَوِّي الْهُوِيَّةَ الْمِهْنِيَّةَ، وَيُقَلِّلُ التَّنَافُرَ، وَالْفُرْقَةَ، وَيُفْسِحُ الْمَجَالَ لِلتَّنَافُسِ الْمُثْمِرِ.

آثَارُ غِيَابِ الِاتِّحَادِ عَلَى الْأُمَمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ

إِنَّ الْوِحْدَةَ فِي حَقِّ الْأُمَمِ هِيَ مِثْلُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ، فَإِذَا فَارَقَتِ الْجَسَدَ فَقَدَ الْحَيَاةَ، وَإِذَا غَابَ الِاتِّحَادُ، دَبَّ الْخِلَافُ، وَتَسَرَّبَ التَّشَتُّتُ، وَتَبَدَّدَتِ الْقُوَى، وَضَعُفَ الْبُنْيَانُ، وَهَانَتِ الْأُمَّةُ عَلَى عَدُوِّهَا، وَصَارَتْ عِرْضَةً لِلتَّدَاخُلِ، وَالْمُؤَامَرَاتِ، وَالْفَشَلِ الدَّاخِلِيِّ.

١ – التَّفَكُّكُ وَالصِّرَاعُ الدَّاخِلِيُّ:

فَإِذَا فُقِدَتْ الْوَحْدَةُ، وَنَابَ عَنْهَا التَّنَافُرُ، وَالتَّفَاخُرُ، وَالْحَسَبُ، وَالنَّسَبُ، تَشَظَّى الْكِيَانُ الْمُجْتَمَعِيُّ، وَصَارَ كُلُّ فَرْدٍ، أَوْ جِهَةٍ، تَسْعَى لِمَصَالِحِهَا الضَّيِّقَةِ، عَلَى حِسَابِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ.

وَفِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:-

"عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهَا حِبْلُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ".

٢ – الضَّعْفُ السِّيَاسِيُّ، وَضَيَاعُ الْهَيْبَةِ الدَّوْلِيَّةِ:

الدُّوَلُ الْمُتَفَرِّقَةُ، وَالْمُجْتَمَعَاتُ الْمُنْقَسِمَةُ، لَا صَوْتَ لَهَا فِي السَّاحَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَلَا قُوَّةَ لَهَا فِي الْمُفَاوَضَاتِ، فَتَصِيرُ أَسِيرَةَ الْإِمْلَاءَاتِ، وَالضُّغُوطِ الْخَارِجِيَّةِ. وَتَارِيخُنَا الْمُعَاصِرُ شَاهِدٌ؛ فَمَا أَفْقَدَنَا الْقُدْسَ، وَالْهَيْبَةَ، وَالْقَرَارَ الْمُسْتَقِلَّ، إِلَّا عِنْدَمَا تَفَكَّكَ الْجِسْمُ الْإِسْلَامِيُّ، وَتَنَازَعَ الزُّعَمَاءُ.

٣ – تَعَثُّرُ الْمَسِيرَةِ التَّنْمَوِيَّةِ، وَهَدْرُ الْمَوَارِدِ:

غِيَابُ الْوَحْدَةِ يُؤَدِّي إِلَى تَزَاحُمِ الْقَرَارِ، وَتَضَارُبِ الْمَصَالِحِ، وَتَشَتُّتِ الْمَشَارِيعِ، فَيَتَعَطَّلُ الْإِنْجَازُ، وَيَهْدِرُ الْوَقْتُ، وَتُبَدَّدُ الْمَوَارِدُ، وَيَفْقِدُ الْمُجْتَمَعُ تَرْتِيبَ أَوْلَوِيَّاتِهِ، وَتَصِيرُ الرُّؤَى ضَبَابِيَّةً، مُتَبَاعِضَةً.

٤ – بُرُوزُ دَوْرِ الْعَدُوِّ، وَاسْتِقْوَاؤُهُ عَلَيْنَا:

قَدْ قَالَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ – فِي تَفْسِيرِ الْحَالِ:

{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦].

فَبِالْخِلَافِ تَضْعُفُ الْمَنَاعَةُ، وَبِتَبَدُّدِ الْكَلِمَةِ يُغْرِي الْعَدُوَّ، فَيَتَسَلَّلُ فِي ثَغَرَاتِ الْفُرْقَةِ، وَيَزْرَعُ الْفِتَنَ، وَيَغْذِي التَّطَرُّفَ، وَيُشْعِلُ الْخِلَافَ.

٥ – الْفَوْضَى، وَغِيَابُ الْأَمْنِ:

فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُنْقَسِمِ، تَكْثُرُ الْجَرَائِمُ، وَتَضْعُفُ سُلْطَةُ الْقَانُونِ، وَيَفْقِدُ النَّاسُ ثِقَتَهُمْ بِالْمُؤَسَّسَاتِ، فَيَفْشُو الْفَسَادُ، وَتَضِيعُ الْحُقُوقُ، وَتَنْشَطُ الْعِصَابَاتُ، وَتَتَعَطَّلُ الْحَيَاةُ.

وَقَدْ قِيلَ: "لَا تَسْقُطُ الْأُمَمُ بِالسُّيُوفِ، وَإِنَّمَا تَسْقُطُ بِالتَّفَرُّقِ".

الْخَاتِمَةُ

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ، يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ...

إِنَّ الِاتِّحَادَ لَيْسَ خِيَارًا ثَانَوِيًّا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي الْخُطَبِ، أَوْ نَتَغَنَّى بِهِ فِي الْأَنَاشِيدِ، بَلْ هُوَ قَدَرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَشَرْطُ نَهْضَتِهَا، وَسِرُّ بَقَائِهَا، وَمِفْتَاحُ عِزِّهَا وَنَصْرِهَا، وَإِنَّ كُلَّ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ يُنْذِرُنَا، وَيُنَادِينَا: إِنِ اتَّحَدْتُمْ سُدْتُمْ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمْ ضَعُفْتُمْ وَذَلَلْتُمْ.

أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ نَبِيِّكُمْ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:–

»الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا« [رواه البخاري ومسلم].

أَلَمْ يُخْبِرْنَا رَبُّنَا – جَلَّ وَعَلَا – بِأَنَّ الْفُرْقَةَ عَذَابٌ؟

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} [آل عمران: ١٠٥].

فَإِنْ كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ وَطَنًا، وَنَرْفَعَ رَايَةً، وَنَسِيرَ بِأُجْيَالِنَا نَحْوَ الْمَجْدِ، فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَقْدِ الْعَزْمِ عَلَى الِاتِّحَادِ، وَتَجَاوُزِ الْخِلَافِ، وَنَبْذِ الْعَصَبِيَّةِ، وَالْمَصَالِحِ الضَّيِّقَةِ، وَنَشْرِ الثِّقَةِ، وَزِرَاعَةِ الْأَمَلِ.

إِخْوَتِي الْمُؤْمِنِينَ...

كُنَّا أُمَّةً وَاحِدَةً، نُهَابُ وَنُرْجَى، فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا، صِرْنَا غَثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَسْتَبِيحُنَا الْعَدُوُّ، وَيَسْتَخِفُّ بِنَا الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، فَهَلْ نَرْجِعُ؟ هَلْ نَصْطَفُّ؟ هَلْ نُرَمِّمُ جُدْرَانَ الْوَحْدَةِ؟

أَجِيبُوا نِدَاءَ اللَّهِ:

{إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢] {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ١٠]

فَابْنُوا بِالْوِئَامِ وَالْمَحَبَّةِ صَرْحَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَكُونُوا فِي الْخَيْرِ كَالْيَدَيْنِ، تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، وَكَالْجَنَاحَيْنِ، لَا تَطِيرُ الْأُمَّةُ بِوَاحِدٍ.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَوَحِّدْ صُفُوفَنَا، وَرُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَذِقْنَا لَذَّةَ الِاتِّحَادِ، وَحَلَاوَةَ الْوَفَاقِ، وَقِنَا شَرَّ الْفُرْقَةِ، وَالِاخْتِلَافِ، وَالنِّزَاعِ.

آمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.